الدرس الثاني : تدوين اللغة عند العرب

كثير من المصادر تشير إلى أن العربية مثلها مثل اللغات الأخرى ، عرفت طفولة ، فقد مرت بعدة أطوار قبل لأن يتوّل بها القرآن الكريم ،وهذه الأطوار هي

أطوار اللغة العربية

الطور الأول : كانت فيه مزيجا من اللهجات ،والبداية تعود إلى لهجتين: لهجة قبائل بني عدنان في شمال الجزيرة العربية ، ولهجة قحطان الحميرية ، وقد أفادت العدنانية من الحميرية وصراعها حتى تغلبت عليها.

الطور الثاني : بدأت عند اجتماع القبائل ،واختلاط بعضها ببعض في الحروب والحج والأسواق،وهنا كان لقريش السيادة الدينية ، حيث كانت تأخذ من لغات الشام واليمن وفارس والحبشة، ما تدخله في لغتها بعد تهذيب متقن ، وزادت ثروتها اللغوية

الطور الثالث : بدأت بنزول القرآن الكريم ، فأتم لهذه اللغة سيادتها وشرفها ، فكانت شيئا مهما ، وكان للحديث النبوي الشريف أثر واضح في تهذيبها ،وهنا اتسعت أغراض هذه اللغة بتأثير الدين ، ودخلتها الألفاظ الجديدة ، وتغيرت معاني بعض الألفاظ حسب طبيعة تطور المجتمع المدني آنذاك

في هذا الوقت بدأ اللحن يظهر عند العرب بفعل احتكاكهم بالمستعمرين ، وشاع في بداية العصر الأموي41-132 هـ الموافق لـ 661-749هـ ،واستنكر العرب هذه الظاهرة ، فانبرى أبو الأسود الدؤلي وتلامذته لوضع رسم إعراب القرآن عن طريق النقط،والشكل ، ووضع قواعد النحو ، وتواصل العمل في العصر العباسي 132-656 هـ الموافق لـ : 750 -1258 هـ ، بشكل مكثف نظرا لاستعانة الحكام العباسيين بالفرس ،وازدياد انتشار الإسلام ، وكان من نتائج ذلك تأثير واضح في اللغة ، حيث ظهر الاعتماد على القياس والتعليل ،واعتماد مناهج جديدة في اللغة، ونسجل هنا ظهور علماء أفذاذ في اللغة مثل أبو عمرو بن العلاء ،وعيسى بن عمر الثقفي ،والخليل بن أحمد ، وسيبويه ،والكسائي ... فكانت كتبهم النواة الأولى لتأسيس لغة عربية لها مقوماتها التي تقوم عليها أية لغة من منهج ، قواعد ، تراث ... وزاد اختلاف العلماء فيما بينهم في أمور اللغة إلى إنشاء مدارس لغوية ، لكل منها مناهجها ، وطريقتها ، وهذا كله أدى إلى ضرورة الاعتماد على التدوين.

جمع و تدوين مفردات العربية: ان جمع المادة اللغوية لم يكن بالامر الهين ,فقد افنى بعض اللغويين اعمارهم في تجميعها من افواه العرب الخلص , و كان لهذا العمل الجلل دوافعه و اسبابه , فيا ترى ماهي هذه المبررات و الدوافع؟

دوافع و مبررات جمع المادة اللغوية :

يظهر ان الباعث الى جمع المادة وتاليف المعاجم هو:

ا) حاجة العرب الى تفسير ما استغلق عليهم من الفاظ القران الكريم و هذا يوكد مانذهب ثلاثة امور :

_ ما روي عن استفسار العرب عن معاني بعض الفاظ القران الكريم

_كثرة الكتب التي الفت في اوائل مرحلة التدوين في موضوع غريب القران.

_العلوم العربية من تفسير و فقه و بلاغة و نحو , انما انشات لحفظ القران و تفسيره.

ب) رغبة في ضبط اللسان العربي الفصيح و حمايته من لحن الاعاجم .

ج) تيقظ النزعات القومية و ذلك من خلال تفاخر العرب بلغتهم و تراثهم في عهد الدولة الاموية على غيرهم من الامم.

شروط قبول المادة اللغوية :لقد اشترط اللغويون في جمع المادة اللغوية شرطين:

اولهما :زماني ونقصد به حصر التدوين في ادب الجاهلية وصدر الاسلام حتى منتصف القرن الثاني الهجري تقريبا.

ثانيهما: جعلوا المدون مختصا بالبدو دون الحضر ودون سكان اطراف الجزيرة , فخصوا التدوين في قبائل قيس و تميم واسد و هذيل و قريش و منعوا الاخذ عن الباقي , لمخالطتهم الفرس و اليونان و الهند ...

مراحل جمع المادة اللغوية :يذكر احمد امين ان جمع اللغة قد مر بثلاث مراحل على النحو الاتي:

المرحلة الاولى :جمعت اللغة كيفما اتفق, فيرحل العالم الى البادية ليسمع كلمة في المطر وكلمة في السيف اخرى في النبات و الزرع , و يدون ذلك كله حسب ما سمع من غير ترتيب الا ترتيب السماع .

المرحلة الثانية : جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد , وقد وضع في هذه المرحلة عدد من الكتب التي يمكن تسميتها بكتب الموضوعات .ومنها كتاب المطر و كتاب اللبن لابي زيد ,وكتاب النخلو الكرم و كتاب الابل و كتاب الخيل و كتاب اسماء الوحوش للاصمعي.

المرحلة الثالثة :تم وضع المعاجم على نمط خاص في الترتيب ليرجع اليها من اراد البحث عن معنى كلمة,و اول من الف معجما _ على ما بلغنا_ هو الخليل بن احمد الفراهيدي واضع كتاب العين.

2-اثر حركة التدوين على اللغة العربية: بفضلها عاشت اللغة العربية عصرها الذهبي ومن تجلياته:

-1استطاعت لغتنا أن تكون أداة لنقل ما في علوم الفرس و الهنود و السريان و اليونان بسبب مرونتها.

-2استطاعت لغتنا أن تحتوي ما في اللغات الأخرى و تعربها.

-3نجحت في أن تصبح لغة ثقافية للشعوب التي دخلت الإسلام..

-4بدأ علماء الأدب في تصحيح وتدوين في العصر العباسي الأول و جاء منهج العلماء الذين قصدوا ذلك علي منهج الاختيار وبذلك وصلت إلينا مجموعة المختارات من الأدب العربي.و أشهر ما وصل إلينا من الكتب التي جمعت بين مختار الشعر والنثر من الأدب العربي كتاب الكامل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني.

-5شهد العصر العباسي الأول ظهور فحول الشعراء الذين أثروا الشعر العربي بأشعارهم أمثال: أبو العتاهية وأبو تمام والبحتري وابن الرومي وأبو نواس وابن المعتز.

أرتقي وازدهر الشعر والنثر في العصر العباسي الأول للأسباب الآتية.....

أ- اختلاف صور الحياة وقيمة الأشياء آنذاك.

ب- تشجيع الخلفاء للعلماء عامة وللشعراء علي وجه الخصوص.

ج- تأثير الثقافة الأجنبية علي الشعر العربي.

د- ظهرت طائفة من كبار كتاب المسلمين الناثرين أمثال أبن المقفع صاحب(كليلة و دمنة) والجاحظ دائرة معارف زمانه صاحب كتاب الحيوان والبخلاء وابن قتيبة صاحب كتاب عيون الأخبار والمبرد صاحب الكامل.

ومهما يكن فإن حركة الجمع والتدوين جاءت بتراث ضخم عكف عليه الدارسون يستخلصون منه معظم ألفاظ العربية ، ويميزون قواعد نحوها واشتقاقها وضوابط شعرها وأساليبها البيانية وخصائصها التعبيرية وآخرون منهم اختصوا بدراسته فمنهم من اشتغل بشرح ألفاظه وتفسير غريبه، ومنهم من اهتم بتذوقه ونقده، فأضافوا رصيدهم إلى المجموع من تراث الجاهلية ، وبالإمكان لدى العودة إلى مؤلفات القدامى ملاحظة المجهود الهائل الذي قام به الأوائل في مجال دراسة اللغة والعناية الدقيقة التي بذلوها في جمع أصولها ، ولم شتاتها واستنباط أحكامها العامة، فمثلت هذه اللغة المجموعة عصر الصفاء اللغوي الذي وجب النسج على منواله و الاحتكام إليه والاحتجاج به فيما بعد .